

روح المعاني

فهل تعرف العرب ذلك فقال : نعم أما سمعت قول الأعشى : فإني وما كلفتموني من أمركم
ليعلم من أمسى أعق وأحوبا وخصه بعضهم بالذنب العظيم وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو
مصدر حاب يحوب حوبا .
وقريء حابا وهو أيضا مصدر كالقول والقال وهو على القراءة المشهورة أسم لا مصدر خلافا
لبعضهم وتنوينه للتعظيم أي حوبا عظيما ووصف بقوله تعالى : كبيرا 2 للمبالغة في تهويل
أمر المنهي عنه كأنه قيل : إنه من كبار الذنوب العظيمة لا من أفنائها .
وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء شروع في النهي عن منكر
آخر كانوا يباشرونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة وبأموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق
بأموالهم خاصة وتأخير عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة إلى الأموال ونزوله منه منزلة
المركب من المفرد مع كون المراد من اليتامى هنا صنفا مما أريد منه فيما تقدم وذلك أنهم
كانوا يتزوجون من تحل لهم من يتامى النساء اللاتي يلونهم لكن لا رغبة فيهن بل في مالهن
ويسئنون صحبتهن ويتربصون بهن أن يمتن فيرثوهن فوعظوا في ذلك وهذا قول الحسن ورواه ابن
جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله تعالى عنها وأخرج هؤلاء من طريق آخر
والبخاري ومسلم والنسائي والبيهقي في سننه عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله
تعالى عنها عن هذه الآية فقالت يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها يشركها في
مالها ويعجبه مالها وجمالها فيريد أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما
يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق
وأمرُوا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن فالمراد من اليتامى المتزوج بهن والقرينة
على ذلك الجواب فإنه صريح في هو الربط يقتضيه و من النساء غير اليتامى كما صرحت به
الحميراء رضي الله تعالى عنها لدلالة المعنى وإشارة لفظ النساء إليه والإقسط العدل
والإنصاف وجعل بعض الهمزة فيه للإزالة فأصل معناه حينئذ إزالة القسوط أي الظلم والحيث
وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء فقليل : هو من قسط بمعنى جار وظلم ومنه وأما القاسطون
فكانوا لجهنم خطبا ولا مزيدة كما في قوله تعالى : لئلا يعلم وقيل : هو بمعنى أقسط فإن
الزجاج حكى أن قسط بلا همز تستعمل إستعمال أقسط و اليتامى جمع يتيمة على القلب كما قيل
أيامي والأصل أيائم ويتائم وهو كما يقال للذكور يقال للإناث والمراد من الخوف العلم عبر
عنه بذلك إيذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لأن الذي علق به الجواب هو
العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه وإلا لم يكن الأمر شاملا لمن يصبر على الجور ولا

يخافه و إن وما بعدها في تأويل مصدر فإن لم تقدر من كان منصوبا وكان الفعل واصلا إليه بنفسه وإن قدرت جاز فيه أمران : النصب عند سيويه والجر عند الخليل و ما موصولة أو موصوفة وما بعدها صلتها أو صفتها وأوثر على من ذهابا إلى الوصف من البكر أو الثيب مثلا وما تختصأو تغلبفي غير العقلاء فيما إذا أريد الذات وأما إذا أريد الوصف فلا كما تقول : ما زيد في الإستفهام أي أفاضل أم كريم وأكرم ما شئت من الرجال تعني الكريم أو اللئيم .

وحكى عن الفراء أنها هنا مصدرية وأن المصدر المقدر بها وبالفعل مقدر بأسم الفاعل أيأ نكحوا الطيب